تفسير مفردات الفاتحة

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾﴾. آمين.

«الْحَمْدُ للّهِ»

الحمد لله في الكلام معناه الثناء الكامل، أي يكون بمعنى الشكر على النعمة، ويكون بمعنى الثناء بجميل الأفعال. تقول: حمدت الرجل على علمه وكرمه، والشكر لا يكون إلا على النعمة، إذ لا تقول: شكرت فلاناً على علمه.

كما أن الحمد ثناء على الممدوح بصفاته من غير سبق إحسان، والشكر ثناء على المشكور بما أولى من الإحسان.

وعلى هذا قال العلماء: الحمد أعم من الشكر، لأن الحمد فيه معنى الشكر ومعنى المدح، ولأن الحمد يوضع موضع الشكر، ولا يوضع الشكر موضع الحمد.

خصائص الحمد لله:

الأولى: قال الشيخ داود القيصري: الحمد قولي، وفعلي، وحالي:

أما القولي: فحمد اللسان وثناؤه عليه بما أثنى به الحق على نفسه على لسان أنبيائه عليهم الصلاة والسلام.

وأما الفعلي: فهو الإتيان بالأعمال البدنية من العبادات والخيرات ابتغاء لوجه الله تعالى؛ لأن الحمد كما يجب على الإنسان باللسان يجب عليه بحسب كل عضو.. كما قال [عليه الصلاة والسلام]: «**الحمد لله على كل حال**»؛ وذلك لا يمكن إلا باستعمال كل عضو فيما خلق لأجله على الوجه المشروع عبادة للحق تعالى وانقياداً لأمره.

وأما الحالي: فهو الذي يكون بسبب الروح والقلب، كالتخلق بالأخلاق الإلهية، لأن الناس مأمورون بالتخلق بأخلاق الله سبحانه وتعالى.

الثانية: اللام في قول «**الحمد لله**» يحتمل وجوهاً كثيرة:

1 - للاختصاص اللائق 2 - الملك 3 - القدرة والاستيلاء.

والحمد لله يحتمل هذه الوجوه الثلاثة، فإن حملته على الاختصاص اللائق، فمن المعلوم أنه لا يليق الحمد إلا به لغاية جلاله وكثرة فضله وإحسانه؛ وإن حملته على الملك فمعلوم أنه تعالى مالك للكل؛ وإن حملته على الاستيلاء والقدرة، فالحق سبحانه وتعالى كذلك لأنه واجب لذاته وما سواه ممكن لذاته فهو المستولي على الكل والمستعلي على الكل.

الثالثة: الله سبحانه وتعالى لم يقل: أحمد الله. ولكن قال: الحمد لله وهذه العبارة الثانية أولى من وجوه:

1 - أنه لو قال أحمد الله أفاد ذلك كون ذلك القائل قادراً على حمده أما لما قال الحمد لله فقد أفاد ذلك أنه كان محموداً قبل حمد الحامدين، وقبل شكر الشاكرين سواء حمدوا أو لم يحمدوا، وسواء شكروا أو لم يشكروا. فهو تعالى محمود من الأزل إلى الأبد بحمده القديم وكلامه القديم. ولذلك قال رسول الله ﷺ: «**سبحانك لا نحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك**».

2 - إن قولنا الحمد لله معناه أن الحمد والثناء حق لله وملكه، فإنه تعالى هو المستحق للحمد بسبب كثرة أياديه وأنواع آلائه على العباد، فقولنا: الحمد لله معناه أن الحمد حق لله يستحقه لذاته. ولو قال: أحمد الله، لم يدل ذلك على كونه مستحقاً للحمد لذاته، ومعلوم أن اللفظ الدال على كونه مستحقاً للحمد أولى من اللفظ الدال على أن شخصاً حمده.

3 - الحمد عبارة عن صفة القلب، وهي اعتقاد كون ذلك المحمود متفضلاً منعماً مستحقاً للتعظيم والإجلال، فإذا تلفظ الإنسان بقوله: أحمد الله مع أنه كان قلبه غافلاً عن معنى التعظيم اللائق بجلال الله كان كاذباً لأنه أخبر عن نفسه بكونه حامداً، مع أنه ليس كذلك، أما إذا قال: الحمد لله سواء كان غافلاً أو مستحضراً لمعنى التعظيم فإنه قد يكون صادقاً، لأن معناه أن الحمد حق لله وملكه، وهذا المعنى حاصل سواء كان العبد مشتغلاً بمعنى التعظيم والإجلال أو لم يكن.

فثبت أن قوله الحمد لله أولى من قوله أحمد الله، ونظيره قولنا [لا إله إلا الله] فإنه لا يدخله التكذيب بخلاف قولنا [أشهد أن لا إله إلا الله]، لأنه قد يكون كاذباً في قوله أشهد. ولهذا قال الله تعالى في تكذيب

المنافقين: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾[1] ولهذا السر أمر في الأذان بقوله [أشهد]، ثم وقع الختم على قوله: [لا إله إلا الله].

الرابعة: أعظم الحمد وأجل الثناء حمده سبحانه وتعالى لنفسه: «**سبحانك لا نحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك**».

أما الحكمة في أن الله سبحانه وتعالى حمد نفسه وأثنى على نفسه للأمور التالية:

1 - إن لفظة الحمد لله هي لفظة خبر؛ كأنه سبحانه وتعالى يخبر أن المستحق للحمد هو الله سبحانه وتعالى، إذ الخلق معيبون، وعيبهم أكثر من صلاحهم، كما أن صفاتهم ناقصة لا تستحق المدح، كالعلم والإرادة وغيرها، لذلك فلا يجوز أن يحمدوا أنفسهم ويزكوها بعدما قال لنا: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾[2].

وقال [عليه الصلاة والسلام]: «**احثوا التراب في وجوه المداحين**»[3].

---

(1) سورة المنافقون، الآية: 1.

(2) سورة النجم، الآية: 32.

(3) رواه الترمذي عن أبي هريرة ﷺ، ورواه ابن عدي في الكامل=

وقال العلماء: يستقبح من المخلوق الذي لم يعط الكمال أن يحمد نفسه ليستجلب لها المنافع ويدفع عنها المضار. أما الله سبحانه وتعالى فهو منزه وبريء من العيوب والآفات والفساد ويجوز له أن يحمد نفسه ويثني على نفسه، كما أن صفاته كاملة تستحق المدح، فالحمد والثناء حق لله وملكه؛ فإنه هو المستحق للحمد بسبب كثرة أياديه وأنواع آلائه على العباد.

2 - إن لفظة الحمد تأتي بمعنى الأمر، أي قولوا الحمد لله وفيه تعليم الخلق كيف يحمدونه، لأن الله سبحانه وتعالى قد عَلِمَ عجز عباده عن حمده، وأنهم لا يهتدون إلى ثنائه حتى الرسول ﷺ أظهر العجز بقوله: «**لا أحصي ثناءً عليك**»، فعلمهم كيف يحمدونه لتكون النعمة أهنأ لديهم، حيث أسقط عنهم به ثقل المِنَّة عن نعم الله الكثيرة التي لا تعد ولا تحصى. قال الله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾[1].

وأكبر نعمة هي نعمة الإسلام والإيمان، وإن هذه

= وأبو نعيم في الحلية عن ابن عمر رضي الله عنهما. قال الهيثمي: تفرد به بقية بن الوليد.

(1) سورة إبراهيم، الآية: 34.

النعم تحتاج إلى مكافأة، فاكتفى منا بالحمد والشكر. يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[1]، وعليه يكون حمده أفضل مما أعطى. عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها أو يشرب الشربة فيحمده عليها**»[2].

وقال رسول الله ﷺ: «**ما أنعم الله على عبد نعمة فقال الحمد لله إلا أدى شكرها، فإن قالها الثانية جدد الله له ثوابها فإن قالها الثالثة غفر الله له ذنوبه**»[3].

وفي نوادر الأصول: عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لو أن الدنيا كلها بحذافيرها بيد رجل من أمتي ثم قال الحمد لله لكانت الحمد لله أفضل من ذلك كله**»[4]. لأن الدنيا فانية والكلمة باقية، فهي من

---

(1) سورة إبراهيم، الآية: 7.

(2) رواه مسلم.

(3) رواه الحاكم والبيهقي في الشعب.

(4) رواه ابن عساكر عن أنس رضي الله عنه عن جابر رضي الله عنه. قال الحاكم: صحيح، ورده الذهبي فقال ليس بصحيح. قال أبو زرعة: عبد الرحمن بن قيس كذاب. وفي الميزان: عبد الرحمن بن قيس كذبه ابن مهدي، وأبو زرعة. قال أحمد: لم يكن بشيء، وخرج له في المستدرك حديثاً منكراً وصححه ثم ساق هذا.

الباقيات الصالحات. قال الله تعالى: ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾[1]. فالدنيا والكلمة من الله أعطاه الله الدنيا فأغناه، وأعطاه الكلمة فشرفه بها في الآخرة.

يحكى أن عيسى عليه السلام مر برجل أعمى، أبرص، مقعد، قد أخذه الفالج، وهو يقول: «**الحمد لله الذي عافاني مما ابتلى به كثيراً من خلقه**». فقال له عيسى: أي شيء من البلاء قد عافاك الله منه؟ فقال: يا نبي الله أنا خير ممن لم يجد في قلبه معرفة ربه.

الخامسة: إن نعم الله تعالى على العبد في الدنيا متناهية، وقوله: الحمد لله حمد غير متناهٍ؛ ومعلوم أن غير المتناهي إذا طُرح منه المتناهي بقي الباقي غير متناه فكأنه تعالى يقول: «عبدي إذا قلت الحمد لله في مقابلة تلك النعمة فالذي بقي لك من تلك الكلمة طاعات غير متناهية، فلابد من مقابلتها بنعمة غير متناهية»، فلهذا السبب يستحق العبد الثواب الأبدي والخير السرمدي، فثبت أن قول الحمد لله يوجب سعادات لا آخر لها، وخيرات لا نهاية لها.

---

(1) سورة الكهف، الآية: 46.

السادسة: فإن قيل ما الحكمة في أن الله تعالى أضاف الحمد إلى نفسه دون سائر الطاعات أليس جميع الطاعات أيضاً لله تعالى؟.

1 - قال جعفر الصادق بن محمد رضي الله عنهما: إنما أضاف الحمد إلى نفسه بقوله: «الحمد لله» خاصة دون سائر الطاعات، وهو أنه لا يدخل الجنة إلا بثلاثة: التوحيد لله تعالى، والحمد لله، والحب لله. وأضاف هذه الثلاثة إلى نفسه فقال: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ و﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ و﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾.

2 - ذكر الحمد لنفسه لأن جميع النعم منه وإلينا، فإذا كانت النعمة منه فمكافأته تكون له لأن ثمن البضاعة لصاحب البضاعة.

السابعة: الحمد لله كلمة شريفة جليلة، لكن لابد من ذكرها في موضعها، وإلا لم يحصل المقصود منها. قيل للسريّ السقطي: كيف يجب الإتيان بالطاعة؟ قال: أنا منذ ثلاثين سنة أستغفر الله عن قولي مرة واحدة الحمد لله. فقيل: كيف ذلك؟ قال: وقع الحريق في بغداد واحترقت الدكاكين والدور، فأخبروني أن دكاني لم يحترق فقلت: الحمد لله. وكان معناه أني فرحت ببقاء

دكاني حال احتراق دكاكين الناس، وكان حق الدين والمروءة أن لا أفرح بذلك، فأنا في الاستغفار منذ ثلاثين سنة عن قولي الحمد لله. فثبت أن هذه الكلمة وإن كانت جليلة القدر إلا أنه يجب رعاية موضعها.

ولهذا نقول: إن نعم الله كثيرة إلا أنها محصورة في نوعين: نعم الدنيا ونعم الدين، ونعم الدين أفضل من نعم الدنيا. ثم إن نعم الدين قسمان: أعمال الجوارح، وأعمال القلوب، والقسم الثاني أشرف، فهذه مقامات يجب اعتبارها حين يكون ذكر قولنا الحمد لله موافقاً لموضعه لائقاً بسببه.

الثامنة: اختلف العلماء أيهما أفضل؟ قول العبد: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، أو قوله: (لا إله إلا الله)؟ فقالت طائفة: قول الحمد لله رب العالمين أفضل لأن في ضمنه التوحيد الذي هو لا إله إلا الله. ففي قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ توحيد وحمد، وفي قوله: (لا إله إلا الله) توحيد فقط.

وقالت طائفة: (لا إله إلا الله) أفضل، لأنها تدفع الكفر والإشراك، وعليها يقاتل الخلق. قال رسول الله ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله**

إلا الله وأني رسول الله، فإذا قالوها عَصَمُوا مني دماءَهم وأموالهم، إلا بحقها، وحسابهم على الله»[1].

التاسعة: فإن قيل ما الحكمة في أن الله تعالى أمرنا أول شيء بالحمد له بقوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قبل سائر الطاعات:

1 - لأن أول شيء منّ الله تعالى علينا من النعم الخلق السوي والحياة والغذاء والقدرة والعلم والمعرفة والنطق، فأمرنا بالحمد حتى يحفظها علينا ويزيدنا من فضله.

2 - لأن الحمد أهون الطاعات، فأمرنا به أولاً كي لا يشق علينا بالابتداء حتى نتعود بعده إلى سائر الطاعات.

وحكي أن رجلاً من الصالحين كان يقول أبداً (الحمد لله وأستغفر الله) لا يزيد على هذا. فقيل له في ذلك قال: لأن حالي لا يخلو من وجهين إما نعمة وافرة، وإما معصية.

العاشرة: قيل إن أهل الجنة سبع محامد:

---

(1) رواه مسلم والبخاري وأصحاب السنن عن أبي هريرة رضي الله عنه وهو متواتر.

1 - إذا تميزوا عن المجرمين يقولون: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1].

2 - إذا فرغوا من الحساب يقولون: الحمد لله رب العالمين كقوله تعالى: ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[2].

3 - إذا جاوزوا الصراط يقولون: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾[3].

4 - إذا رأوا الجنة يقولون: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾[4].

5 - إذا دخلوا الجنة يقولون: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ﴾[5].

6 - إذا استقروا في الجنة يقولون: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ

(1) سورة المؤمنون، الآية: 28.
(2) سورة الزمر، الآية: 75.
(3) سورة فاطر، الآية: 34.
(4) سورة الأعراف، الآية: 43.
(5) سورة الزمر، الآية: 74.

أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾﴾[1].

7 - عند الضيافة فيحمدون الله لقوله تعالى: ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾﴾[2].

«رَبِّ الْعَالَمِينَ»

الرب: لها عدة معانٍ:

1 - تأتي بمعنى الخالق والمعبود: وهو الله سبحانه وتعالى وحده، فلا يراد به غيره، فلا يجوز إطلاق اسم الرب على العبد كأن تقول: فلان رب. فإن اسم الرب إذا أطلق لا يراد به إلا الله سبحانه وتعالى.

2 - تأتي بمعنى المصلح والمدبر والجابر والقائم، ومنه سمي الربانيون لقيامهم بالكتب.

3 - تأتي بمعنى السيد. ومنه قوله تعالى إخباراً عن يوسف عليه السلام: ﴿ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾[3].

---

(1) سورة فاطر، الآيتان: 34، 35.

(2) سورة يونس، الآية: 10.

(3) سورة يوسف، الآية: 50.

وفي الحديث: «**أن تلد الأمة ربتها**» أي سيدتها.

4 - تأتي بمعنى المالك، أي مالكهم. كما يقال: رب الدار أي مالكها.

5 - تأتي بمعنى المربي. فيقال: فلان رب العائلة. قال البيضاوي: الرب في الأصل مصدر بمعنى التربية، فالله سبحانه وتعالى مدبر لخلقه ومربيهم. ومنه قوله تعالى: ﴿وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾[1] فسمى بنت الزوجة ربيبة لتربية الزوج لها. يقول حسن البنا في تفسير سورة الفاتحة: والتربية الإلهية للخلق جميعاً واضحة في كل مظاهر هذه العوالم.

فالجمادات يربيها الخالق سبحانه وتعالى بهذه النواميس الكونية التي لا تتخلف من التفاعل والتحليل والتركيب والمزج والتحول والاتحاد. والنباتات يتضح فيها معنى التربية بشكل واضح؛ فالجنين النباتي يظل مستجناً في البذرة حتى يجد التربة الصالحة فينمو ويتحرك ويتغذى بما حوله من المواد الغذائية التي جهزت لهذا الغرض، فتكون له بمثابة الثدي من الحيوان حتى إذا نما

(1) سورة النساء، الآية: 23.

وكبر تشبث بالأرض وامتص منها غذاءه ونما وازداد ويظهر على وجه الأرض نبته ثم يتحول إلى شجيرة فشجرة ذات أغصان وأوراق وثمار تتأثر وتتنفس وتتغذى وتحمل وتنتج الثمرات.

والإنسان يربيه الخالق جل وعلا في كل أطوار الحياة من النطفة إلى العلقة إلى المضغة إلى الهيكل العظمي، والتكوين التام الكامل والرضاع والنمو والكبر. والإمداد بعد ذلك بأسباب المعارف والمدركات المتنوعة والعواطف والمشاعر والوجدانات المختلفة، حتى يستطيع أن يميز بين الحسن وغيره ويتذوق معاني الخير والحق والجمال.

والتربية على نوعين:

تربية خَلْقيَّة: بما يكون به نموهم وكمال أبدانهم وقواهم النفسية والعقلية.

تربية روحية: بأن أرسل إليهم الرسل، وأنزل معهم الكتب، وأوجب عليهم من العبادات والعقائد والأخلاق، ما يربي أرواحهم ويرتفع بها عن إنسانيتها الضعيفة إلى الملائكية الطاهرة.

ويربي أيضاً الحيوان على اختلاف فصائله.

هذا الباب من تربية الله تبارك وتعالى للعالمين لا ينتهي مداه ولو كتبت فيه المجلدات، وإن هذه الآية من جوامع الكلم.

خصائص اسم الرب:

الأولى: من معاني هذا الاسم كما قلنا تأتي بمعنى الملك، أي أن جميع ما في السموات والأرض ملك لله، وأن جميع الناس عبيده. إذاً المالك يتصرف بملكه كيف يشاء وله الحق أن يطبق على عبيده ما يشاء من أحكام وقوانين؛ له التصرف في ملكه وعبيده فلا اعتراض عليه، ولا يجب عليه شيء، ولا راد لحكمه. ولكن عندما نسمع الآيات القرآنية المطلقة يجب دائماً أن نذكر آيات العدل والحكمة كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[1] ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[2].

ثم إن الظلم معناه التصرف في الشيء الذي غير ملكه، أي إذا أخذ مال غيره ظلمه، لأنه تصرف في غير ملكه؛ أما الله سبحانه وتعالى فإنه يستحيل عليه الظلم،

(1) سورة الكهف، الآية: 49.
(2) سورة النحل، الآية: 118.

لأنه لا يوجد شيء في هذا الكون إلا من ملكه ولذلك يتصرف في ملكه كيف يشاء.

الثانية: ومن خصائص هذا الاسم أن فيه إجابة الدعاء، ويستحب تكريره لما روى البزار عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «**إذا قال العبد يا رب أربعاً قال الله تعالى: لبيك عبدي سل تعط**».

وروى يزيد الرقاشي عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً: «**ما من عبد يقول: يا رب يا رب يا رب، إلا قال له ربه: لبيك لبيك**».

وروى الطبراني وغيره من حديث سعد بن خارجة: أن قوماً شكوا إلى النبي ﷺ قحوط المطر، فقال: «**اجثوا على الركب وقولوا: يا رب يا رب وارفعوا السبابة إلى السماء**» ففعلوا ذلك فسُقُوا، حتى أَحَبُّوا أن يكشف عنهم المطر.

متى أدخلت الألف واللام على (ربّ) اختص الله تعالى به، لأنها للعهد، وإن حذفتا منه صار مشتركاً بين الله وبين عباده، فيقال: (الله رب العباد) و(زيد رب الدار).

الثالثة: إن تربية الله سبحانه وتعالى مخالفة لتربية غيره من وجوه:

1 - إن الله سبحانه وتعالى يربيك لتربح عليه؛ كما قال الله تعالى في الحديث القدسي: «**خلقتكم لتربحوا عليّ لا لأربح عليكم**».

في حين أن تربية الخلق عندما يربون غيرهم ليربحوا عليهم إما ثواباً أو ثناءً.

2 - إن الله سبحانه وتعالى يربيك ويحسن إليك من غير سؤال؛ ألا ترى أنه رباك عندما كنت جنيناً في رحم أمك، وحال ما كنت جاهلاً غير عاقل، مع أنك ما سألته، وما كان لك عقل ولا هداية.

وكذلك الحيوانات والنباتات فهل لها عقل تسأل؟ مع أن الله سبحانه وتعالى رباها وأحسن إليها؛ وتجاوزت تربيته إلى الجمادات. في حين أن غيره من المحسنين من الخلق ما لم يُطلب منه الإحسان لم يعط.

3 - إن غيره من المحسنين يختص إحسانه بقوم دون قوم، ولا يمكنه التعميم، أما الحق سبحانه وتعالى فقد وصلت تربيته وإحسانه إلى الكل وكما قال الله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾.

4 - إن غيره من المحسنين إذا ألح الفقير عليه أبغضه وحرمه ومنعه؛ والحق سبحانه وتعالى بخلاف ذلك يحب الملحين في الدعاء.

5 - إن غيره من المحسنين ينقطع إحسانه، إما بسبب الفقر أو الموت، والحق سبحانه وتعالى لا ينقطع إحسانه البتة.

الرابعة: إن الله سبحانه وتعالى يربيك كأنه ليس له عبد سواك، وأنت تعبده كأن لك رباً غيره، فما أحسن هذه التربية، أليس أنه يحفظك في النهار من الآفات من غير عوض، وبالليل من المخافات من غير عوض فلهذا المعنى قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾[1].

الخامسة: كلمة رب العالمين تعني بيان فقر العالم إلى ربه، وغنى الرب سبحانه وتعالى بالذات عن العالمين، فالعالم في كل لحظة أو لمحة بصر، بل أقرب من ذلك محتاج ومفتقر إلى أن يمده الله تعالى بالوجود، قال الله تعالى ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾[2].

العالمين: اختلف أهل التأويل في العالمين:

---

(1) سورة الأنبياء، الآية: 42.

(2) سورة فاطر، الآيتان: 15، 16.

1 - قيل العالمين: أهل كل زمان لقوله تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1].

2 - وقال ابن عباس: العالمون: الإنس والجن لقوله تعالى: ﴿لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾[2].

3 - وقال الفرّاء وأبو عبيدة: العالمين: عبارة عمن يعقل، وهم أربعة أمم: الإنس، والجن، والملائكة، والشياطين. ولا يقال للبهائم عالم، لأن الجمع هو جمع من يعقل خاصة.

4 - وقال قتادة: العالمون: جمع عالم، وهو كل موجود سوى الله تعالى كما يقال عالم الحيوان، وعالم النبات.. إلخ.

ويقول القرطبي في تفسيره: إن هذا القول هو أصح الأقوال، لأنه شامل لكل مخلوق وموجود ودليله قوله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾﴾[3]. ودليل أن أصناف الحيوانات والطيور عوالم لقوله تعالى: ﴿وَمَا مِن

(1) سورة الشعراء، الآية: 165.
(2) سورة الفرقان، الآية: 1.
(3) سورة الشعراء، الآيتان: 23، 24.

دَابَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾﴾[1].

والدليل على أن في السموات عوالم لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى لقوله ﷻ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ﴾[2]. وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾[3].

ففيها إشارة واضحة صريحة على أن السموات عوالم مثلنا تتلقى أمر الله ﷻ وتسير بحكمه وأن أمر الله يتنزل بين عوالم السموات والأرض.

قال الشيخ جمال الدين الأفغاني رحمه الله: الحيوان شجرة قطعت رجلاها من الأرض فهي تمشي، والشجرة حيوان ساخت رجلاه في الأرض فهو قائم في مكانه يأكل ويشرب وإن كان لا ينام ولا يغفل.

---

(1) سورة الأنعام، الآيتان: 38، 39.
(2) سورة الشورى، الآية: 29.
(3) سورة الطلاق، الآية: 12.

فيا عجباً كيف يعصى الإله أم كيف يجحده الجاحد
وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

إذن فكلمة (العالمين) تدل على كثرة العوالم التي لا تحصى فمن ذلك عالم الذر، وعالم الأرواح، وعالم الأصلاب، وعالم الرحم، وعالم الدنيا، وعالم الأحلام، وعالم الأمر والخلق، وعالم الملكوت، وعالم الجبروت، وعالم العرش، وعالم الكرسي، وعالم القلم، وعالم اللوح وعالم البرزخ.

وفي الحديث عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه أنه سأل رسول الله ﷺ عن الكرسي؟ فقال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده ما السموات السبع والأرضون السبع عند الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وإن فضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة**»[1].

وقد فهم العلماء من هذا الحديث أن العوالم كروية مستديرة، لأنه ﷺ يشبه ذلك بالحلقة.

ملاحظة: (**الحمد لله**): تدل على وجود الإله. (**ورب العالمين**): تدل على أن الله سبحانه وتعالى

(1) رواه الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره، وهو مروي في تحفة الأحوذي.

متعالٍ في ذاته عن المكان والحيز والجهة حيث بينا أن لفظ العالمين يتناول كل ما سوى الله، ومن جملة ما سوى الله المكان والزمان، فالمكان عبارة عن الفضاء والحيز والفراغ الممتد، والزمان عبارة عن المدة التي يحصل بسببها القبلية والبعدية. فقول:

(رب العالمين)

يدل على كونه رباً للمكان والزمان، وخالقهما وموجداً لهما، ثم من المعلوم أن الخالق لابد وأن يكون سابقاً وجوده على وجود المخلوق، ومتى كان الأمر كذلك كانت ذاته موجودة قبل حصول الفضاء والفراغ، فقول: (رب العالمين) يدل على تنزيه ذاته عن المكان والجهة بهذا الاعتبار.

وكذلك (رب العالمين) تدل على أن ذاته منزهة عن الحلول في المحل كما تقول النصارى، لأنه لما كان رباً للعالمين كان خالقاً لكل ما سواه، والخالق سابق على المخلوق، فكانت ذاته موجودة قبل كل محل فكانت ذاته غنية عن كل محل، فبعد وجود المحل امتنع احتياجه إلى المحل.

الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

وقد مر تفسيرهما وفي إعادة ذكرها معان أخرى وهي:

1 - نذْب العباد إلى كثرة الذكر فإن من علامة حب الله، حب ذكر الله تعالى، وفي الحديث: من أحب شيئاً أكثر من ذكره.

2 - ليذكرهم أن العناية بالرحمة أكثر من غيرها من الأمور وأن الحاجة إليها أكثر.

3 - إن البعض يفهم من معنى الرب الجبروت والقهر، فأراد الله سبحانه وتعالى أن يذكرهم برحمته وإحسانه، فكأن الله سبحانه وتعالى أراد أن يتحبب إلى عباده فعرفهم أن ربوبيته ربوبية رحمة وإحسان فيقبلوا على اكتساب مرضاته منشرحة صدورهم مطمئنة قلوبهم.

ولا ينافي في عموم الرحمة ما شرعه الله من العقوبات في الدنيا وما أعده الله من العذاب في الآخرة للذين يتعدون حدوده، وينتهكون حرماته ليجمع في صفاته بين الرهبة منه، والرغبة إليه فيكون أعون على طاعته وأمنع.

قال رسول الله ﷺ: **«لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع في الجنة أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من الجنة أحد»**[1].

(1) أخرجه الشيخان في التوبة واللفظ لمسلم، ورواه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه.

مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ

مالك: المالك هو الحاكم والمتصرف في الأعيان المملوكة كيف شاء من الملك. وقرأ بعضهم: ملك يوم الدين، وكلاهما متواتر في القراءات السبع.

يوم: عبارة عن وقت طلوع الفجر إلى وقت غروب الشمس، وهو اليوم الشرعي؛ وقد يطلق اليوم على الساعة كقوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[1]. والمراد هنا مطلق الوقت لعدم وجود الشمس.

الدين: بمعنى الجزاء على الأعمال والحساب بها ويدل عليه قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ﴾[2] دينهم: أي حسابهم.

وقال تعالى: ﴿أَءِنَّا لَمَدِينُونَ﴾[3] أي مجزيون.

وقد تطلق كلمة الدين على العقيدة وما تتطلبه من الأعمال والأقوال كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[4].

---

(1) سورة المائدة، الآية: 3.
(2) سورة النور، الآية: 25.
(3) سورة الصافات، الآية: 53.
(4) سورة آل عمران، الآية: 19.

الخصائص والمعاني المستنبطة من «مالك يوم الدين»:

الأولى: لماذا خصّ الله سبحانه وتعالى هنا بمالك يوم الدين في حين أنه مالك الدنيا والآخرة؟

الجواب: حتى لا يقول أحد من الناس أو الملوك أنا أملك في الدنيا فإذاً أنا شريك مع الله. قاله الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(مالك يوم الدين) أي لا يملك أحد معه في ذلك اليوم حكماً كملكهم في الدنيا.

قال ابن كثير: والملك في الحقيقة هو الله عز وجل. قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[1].

ولهذا لا يجوز أن يتسمى أي إنسان باسم (ملك) إلا على سبيل المجاز، روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقبض الله الأرض يوم القيامة ويطوي السماء بيمينه ثم يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض**».

وروى الإمام أحمد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: إن

(1) سورة الحشر، الآية: 23.

رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية ذات يوم على المنبر: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[1]. ورسول الله ﷺ يقول بيده هكذا يحركها يقبل بها ويدبر: «**يمجد الرب نفسه: أنا الجبار، أنا المتكبر، أنا الملك، أنا العزيز، أنا الكريم**». قال ابن عمر رضي الله عنه: فرجف المنبر برسول الله ﷺ حتى قلنا ليخرّن به.

وفي رواية مسلم: قال ابن عمر رضي الله عنه: حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل شيء - أي كله - حتى إني أقول: أساقط هو برسول الله ﷺ.

كما أنه لا يجوز أن يتسمى أي إنسان بملك الملوك لقول رسول الله ﷺ: «**أخنع الأسماء عند الله يوم القيامة رجلٌ تسمى ملك الأملاك، لا مالك إلا الله**»[2].

قال سفيان أحد رواة سند هذا الحديث: مثل: شاهان شاه.

أخنع: وفي رواية أخنى أي أفحش الأسماء، والمعنى: أدخل نفسه في الخنوع أي الذل والهوان يوم

(1) سورة الزمر، الآية: 67.

(2) رواه مسلم والبخاري وأبو داود والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه.

القيامة، فلا يصدق هذا الاسم (ملك الملوك) إلا على الله سبحانه وتعالى، فمن تسمى بذلك الاسم فقد نازع الله سبحانه وتعالى في رداء كبريائه، واستنكف أن يكون عبده، لذلك عوقب بالإذلال.

الثانية: إن الله سبحانه وتعالى ذكر في هذه السورة من أسماء نفسه خمسة: **الله، والرب، والرحمن، والرحيم، والمالك**.

وكأن الحكمة من ذلك القول: إن الله سبحانه وتعالى خلقك، ثم رباك بوجود النعم فهو الرب، ثم عصيت فستر عليك فهو الرحمن، ثم تبت فغفر لك، فهو الرحيم، ثم لابد من الجزاء إليك فهو مالك يوم الدين.

الثالثة: لا بد من الفرق بين المحسن والمسيء والمطيع والعاصي. قال الله تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾[1].

قال ابن كثير: بيّن الله تعالى أنه ليس من عدله وحكمته أن يسوي بين المؤمنين والكافرين، وإذا الأمر كذلك فلابد من جزاء يثاب فيها المطيع ويعاقب فيها

(1) سورة صٓ، الآية: 28.

الفاجر، وقد دلت العقول السليمة على أنه لابد من جزاء ومعاد، فإننا نرى الظالم الباغي يزداد ماله وولده ونعيمه، ويموت دون عقاب، ونرى المطيع المظلوم يموت بكمده، فلابد في حكمة الحليم العليم إنصاف هذا من هذا؛ ومن عدل الله سبحانه وتعالى أن ينتقم للمظلومين من الظالمين؛ وإذا لم يقع هذا في هذه الدار، فتعين أن هناك داراً أخرى لهذا الجزاء والمواساة، وهي الدار الآخرة؛ وذلك المراد بقوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾.

ولسائل يسأل: أليست كل الأيام أيام جزاء، وكل ما يلاقيه الناس في هذه الحياة من البؤس هو جزاء؟.

والجواب: إن ما نراه من الجزاء على التفريط في العمل الواجب، إنما يظهر في الدنيا ظهوراً تاماً بالنسبة إلى مجموع الأمة؛ فما من أمة انحرفت عن صراط الله المستقيم إلا وحل الله بها العدل الإلهي ما تستحق من الجزاء، كالفقر والذل وفقد العزة والسلطة.

وأما الأفراد فإننا نرى كثيراً من المسرفين الظالمين يقضون أعمارهم منغمسين في الشهوات والملذات، ولا ينالون الجزاء الذي يستحقونه على عملهم؛ فهؤلاء ينالون حسابهم وجزاءهم في الآخرة.

واعلم أن **الحقوق على قسمين**: حقوق الله تعالى، وحقوق العباد.

أما حقوق الله تعالى: فأحياناً تكون مبنية على المسامحة، لأن الله تعالى غني عن العالمين.

وأما حقوق العباد: فهي التي يجب الاحتراز منها أكثر من غيرها.

روي أن أبا حنيفة رضي الله عنه كان له على أحد المجوس مال، فذهب إلى داره ليطالبه به، فلما وصل إلى باب داره وقع على نعله نجاسة، فنفض نعله فارتفعت النجاسة عن نعله ووقعت على حائط دار المجوسي، فتحير أبو حنيفة وقال: إن تركتها كان ذلك سبباً لقبح جدار هذا المجوسي، وإن حككتها انحدر التراب من الحائط، فدق الباب فخرجت الجارية، فقال لها: قولي لمولاك إن أبا حنيفة بالباب. فخرج إليه وظن أنه يطالبه بالمال، فأخذ يعتذر. فقال أبو حنيفة رضي الله عنه: ههنا ما هو أولى. وذكر قصة الجدار وأنه كيف السبيل إلى تطهيره. فقال المجوسي: فأنا سأبدأ بتطهير نفسي أولاً. فأسلم في الحال.

والنكتة فيه: أن أبا حنيفة لما احترس من ظلم المجوسي في ذلك القدر القليل من الظلم فلأجل تركه

ذلك انتقل المجوسي من الكفر إلى الإيمان. فمن احترز عن الظلم كيف يكون حاله عند الله تعالى؟

الرابعة: هناك من يسأل كيف أن الله يعذب في النار وهو المتصف بالكريم؟

نقول: لو أن مَلِكاً من الملوك أعلن أن الناس مدعوون عنده إلى حفلة غداء، وكل من يحضر يطعمه من أفخر المأكولات، ويلبسه أحسن الحلل، ويضع في يديه الحلي من الذهب، ويعطيه قصراً، ويزوجه من أحسن الفتيات، وكل من لا يحضر هذه الدعوة يحبسه أو يعذبه.

فهل هذا الملك يعد بخيلاً أو كريماً؟ لا شك أنه من أكرم الكرماء.

وكذلك الله سبحانه وتعالى وله المثل الأعلى يقول: «**يا عبدي لقد أعددت لك ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر**». وقليل من يلبي هذه الدعوة. وكرم الله سبحانه وتعالى كامل، لأن كرم الله لا يجبره أحد على إعطائه، ولا يعطي وهو مكره، وإنما يعطي باختياره، وكذلك كرمه لا يكون من وراء منفعة له سبحانه وتعالى، بل يعطي الكافر والعاصي والفاجر والمؤمن.

إِيَّاكَ نَعْبُدُ

العبادة بمعنى الطاعة والتذلل، وسمي العبد عبداً لذلته وانقياده، ومنها طريق معبد أي مذلل.

ولا تكون الطاعة إلا إذا رافقها حب، لأن الحب تدخل فيه الطاعة، أي لك نطيع ولك نحب، لذلك لا تستعمل العبادة إلا في الخضوع لله تعالى، فالعبادة إذن هي أقصى غاية التذلل والخضوع.

وقد كلف الله سبحانه وتعالى العباد بأعمال وأقوال شرعها الله لهم ليبرهنوا على أنفسهم أنهم يحبون الله ويطيعونه وينقادون إليه. علماً أن الله سبحانه وتعالى يعلم منذ الأزل مصير كل عبد إن كان مطيعاً أو عاصياً، ولكن من أجل أن يعلم العبد نفسه.

الخصائص والمعاني المستنبطة من (إياك نعبد):

الأولى: الآيات السابقة كلها ثناء على الله سبحانه وتعالى، ولما قدم العبد الثناء بين يدي ربه فكأنه اقترب منه وحضر بين يديه، وانتقل الكلام من الغيبة إلى المواجهة والحضور.

الثانية: قدم المفعول على الفاعل بقوله: **(إياك نعبد)** لئلا يتقدم ذكر العبد والعبادة على المعبود، ولأن من عادة العرب تقديم الأهم.

الثالثة: قوله: (**إياك**) تفيد الحصر والاختصاص أي نخصك بالعبادة أو أنه لا معبود إلا الله؛ ومتى كان الأمر كذلك ثبت أنه (**لا إله إلا الله**) فقوله: (**إياك نعبد وإياك نستعين**) يدل على التوحيد المحض، فكأن قوله: (**إياك نعبد وإياك نستعين**) يقوم مقام (**لا إله إلا الله**).

الرابعة: فإن قيل ما الحكمة في إتيان النون الدالة على الجمع في (**إياك نعبد وإياك نستعين**): مع أن الشخص الواحد لا يكون جمعاً، ولا هي نون التعظيم، لأن عند أداء العبادة اللائق بالإنسان أن يذكر نفسه بالعجز والذلة، لا العظمة والرفعة.

ولكن الحكمة من إتيان نون الجمع فكأن لسان حاله يقول: ما أنا بالذي بلغت عبادتي القاصرة تلك المكانة التي أذكرها وحدها وأتقدم بها إليك، بل أخلطها وأجمعها إلى عبادات جميع العابدين لك، وأذكر الكل بعبارة واحدة - لعلك ترضى - فاسلكني في نظامهم، وأجملني في جملتهم، فإن فيهم الأنبياء والرسل، والأولياء وكلهم عبادُك وعبَّادُك، وخاصة إمام العُبَّاد وسيد العِبَاد، وإمام الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد ﷺ، فاقبلني في جملة العابدين من أتباعه، وتقبل عبادتي بشفاعته وكرامته ﷺ.

فلا يليق بكرمه أن يميز البعض عن البعض ويقبل البعض دون البعض فإما أن يرد الكل وهو غير جائز، لأن قوله: (إياك نعبد) دخل فيها عبادات الملائكة وعبادات الأنبياء والأولياء، وإما أن يقبل الكل وحينئذٍ تصير عبادة هذا القائل مقبولة ببركة قبول عبادة غيره. والتقدير كأن العبد يقول: «إلهي إن لم تكن عبادتي مقبولة فلا تردني لأني لست بوحيد في هذه العبادة، بل نحن كثيرون، فإن لم أستحق الإجابة والقبول فأتشفع إليك بعبادات سائر المتعبدين فأجبني».

الخامسة: العبودية على نوعين:

1 - عبودية عامة: وهي عبودية قهر وغلبة، أي كل هذا الكون من جماد وحيوان وإنسان ينتسب بالعبودية لله سبحانه وتعالى شئنا أم أبينا، طوعاً أو كراهية. ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾[1]. فكلهم عبيد لله رغم أنوفهم شاءوا أو أبوا.

2 - عبودية خاصة: وهي عبودية الطاعة والمحبة واتباع الأوامر. والأوامر التي تعبدنا الله بها على نوعين:

---

(1) سورة مريم، الآية: 93.

أ - أوامر تكليفية: وهي جميع الطاعات التي أمرنا الله بها، وجميع النواهي التي نهانا عنها وهي أوامر اختيارية، وخاصة وهي التي يحاسبنا الله عليها.

ب - أوامر تكوينية: وهذه الأوامر قهرية وجبرية لا دخل للإنسان بها، كالموت، وحركات القلب، والمعدة والأعضاء، وحركات الكواكب والأفلاك والأشجار وغيرها.

السادسة: إن العبودية لله هو خير نسب ينتسب به العبد لله سبحانه وتعالى، وما أحسن هذا النسب وقد اختاره الله سبحانه وتعالى لحبيبه محمد ﷺ لأنه أشرف المقامات وأسمى المراتب العلية.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[1].

وقد قال القاضي عياض:

ومما زادني شرفاً وتيهاً وكدت بأخمصي أطأ الثريا
دخولي تحت قولك يا عبادي وأن صيَّرت أحمد لي نبيا

ومتى انتسبنا إلى العبودية لله دخلنا في رابطة الإيمان

(1) سورة الإسراء، الآية: 1.

الذي هو أقوى من روابط النسب بين المؤمنين لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[1].

فالإسلام لا يقيم وزناً لرابطة النسب بين الناس ويعتبر أن رابطة العقيدة هي الإطار الذي يحتوي كل المسلمين ويوحدهم.

إن نوح عليه السلام لما ناجى ربه وقال عن ابنه كنعان: ﴿رَبِّ إِنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي﴾[2] قال له ربه: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾[3]. أي إن ولدك هذا ليس من أهلك الذي وعدتك بنجاته لأنه كافر خرج عن رابطة العقيدة والإيمان، ولا ولاية بين المؤمن والكافر.

والذي يترك عبوديته لله ويكون عبداً لآخر مثله يكون ذليلاً، لأن الآخر يحتاج إلى الله سبحانه وتعالى، ولا تمر لحظة من لحظات عمرنا إلا ونحن في حاجة إلى الله سبحانه وتعالى، ولو تخلى عنا لحظة واحدة لصرنا في حالة العدم. وإن ما نشاهده في هذا العصر من الاضطرابات والفوضى في المجتمعات، والتفرقة والقتل، والسحر كله راجع إلى تخلي الناس عن

(1) سورة الحجرات، الآية: 10.
(2) سورة هود، الآية: 45.
(3) سورة هود، الآية: 46.

عبوديتهم لله سبحانه وتعالى، إلى عبودية أهوائهم وشهواتهم، فتخلى الله عنهم ووكلهم إلى أنفسهم، ولذلك عمت الفوضى والاضطرابات في المجتمعات؛ ومتى اعترفنا بعبوديتنا لله سبحانه وتعالى، فلا يحق لنا التصرف في: (أرواحنا، وأجسامنا، وأموالنا)، إلا فيما يرضي الله تعالى، لأننا نحن عبيد لله، ولا يحق لنا التصرف في هذه الأشياء الثلاثة، كالذي يستعير ساعة مثلاً لا يحق له أن يبيعها، ولكن يحق له أن يستعملها فقط من أجل الوقت؛ ومعنى ذلك أننا لسنا أحراراً في هذه الدنيا فالحواس ليست ملكنا، لذلك لا يحق لنا التصرف بها إلا بما يرضي مالكها وهو الله سبحانه وتعالى، وكذلك لا يحق لنا التصرف في أموالنا إلا فيما يرضي الله وهكذا..

يحكى أن بشر بن الحارث الحافي كان في زمن لهوه، وعنده رفقاؤه يشربون ويغنون، فاجتاز بهم رجل من الصالحين، فقرع الباب فخرجت إليه جارية فقال: صاحب هذه الدار حرٌ أم عبد؟ فقالت: بل حر. فقال: صدقت، لو كان عبداً لاستعمل أدب العبودية وترك اللهو والطرب. فسمع بشر محاورتهما فسارع إلى الباب حافياً حاسراً وقد ولى الرجل. فقال للجارية: ويحك من كلمك على الباب؟ فأخبرته بما جرى. فقال: أي ناحية

أخذ الرجل؟ قالت: كذا، فتبعه بشر حتى لحقه فقال له: يا سيدي أنت الذي وقفت بالباب وخاطبت الجارية؟ قال: نعم قال: أعد عليَّ الكلام، فأعاده عليه، فمرغ بشر خدّيه على الأرض وقال: بل عبدٌ عبدٌ.. ثم هام على وجهه حافياً حاسراً حتى عرف بالحفاء فقيل له: لِمَ لا تلبس نعلاً؟ قال: لأني ما صالحني مولاي إلا وأنا حافٍ، فلا أزال على هذه الحالة حتى الممات.

السابعة: قال أهل التحقيق: العبادة لها ثلاث درجات:

الأولى: أن يعبد الله طمعاً في الثواب أو خوفاً من العقاب، وهذه الدرجة أدنى مراتب العبادة، وهي التي عليها أكثر الناس.

الثانية: أن يعبد الله لأجل أن يتشرف بعبادته، أو يتشرف بقبول تكاليفه، أو يتشرف بالانتساب إليه. وهذه الدرجة أعلى من الأولى.

الثالثة: أن يعبد الله لكونه إلهاً وخالقاً يستحق العبادة، ولكونه عبداً له، والإلهية توجب الهيبة والعزة، والعبودية توجب الخضوع والذلة، وهذا أعلى المقامات وأشرف الدرجات، وهذا هو المسمى بالعبودية؛ وإليه الإشارة بقول المصلي في أول الصلاة: أصلي لله تعالى، فإن

قال: أصلي لثواب الله أو للهرب من عقابه فسدت صلاته.

وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ

بمعنى نطلب العون والتأييد والتوفيق من الله سبحانه وتعالى لإزالة العجز. واعلم أنه ثبت بالدلائل العقلية أنه لا حول عن معصية الله إلا بعصمة الله تعالى، ولا قوة على طاعة الله إلا بتوفيق الله تعالى، ويدل على ذلك قوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

الخصائص والمعاني المستنبطة من (وإياك نستعين):

الأولى: إذا قلنا إن الاستعانة على العمل إنما تكون قبل الشروع فيه، فلماذا أخر الاستعانة على العبادة، وما الحكمة فيه؟ ذكروا فيه وجوهاً:

1 - كأن العبد يقول: شرعت في العبادة فأنا أستعين بك على إتمامها فلا يمنعني من إتمامها مانع.

2 - إن العبد إذا قال: إياك نعبد، حصل له الفخر بمقتضى حصول رتبة عظيمة للنفس بعبادة الله تعالى، وذلك يورث العجب، فأردف بقوله: (وإياك نستعين) ليدل ذلك على أن تلك الرتبة الحاصلة بسبب العبادة ما حصلت من قوة العبد، بل حصلت بإعانة الله تعالى؛

فالمقصود من ذكر قوله: (وإياك نستعين) إزالة العجب والكبر.

الثانية: إن كلمة الاستعانة تشعر بوجوب العمل والأخذ بالأسباب، لأن الاستعانة هي طلب العون من الله على أداء عمل أو إتمامه، ولابد للإنسان إذن من أن يأخذ بالأسباب ويجد في الأعمال ثم يطلب المساعدة والمعونة من الله سبحانه وتعالى.

الثالثة: «**إياك نعبد، وإياك نستعين**» من جوامع الكلم، فالأول تبرؤ من الشرك، والثاني تبرؤ من الحول والقوة والتفويض إلى الله ﷻ. وكرر «**إياك**» للاهتمام والحصر، أي: لا نعبد إلا إياك ولا نتوكل إلا عليك، وهذا هو كمال الطاعة.

اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ

الهداية على نوعين: هداية عامة، وهداية خاصة:

1 - الهداية العامة: وتكون بمعنى الدلالة والإرشاد، وهذه الهداية تفضّل الله بها على جميع أفراد البشر بما وهبهم من حواس وعقل وعلم وإدراك يميزون بين الخير والشر؛ وهذا النوع من الهداية هو بمثابة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من العبد فقط.

2 - الهداية الخاصة: وهي بمعنى الإلهام والتوفيق،

وهي دلالة توصيل من الله سبحانه وتعالى إلى العبد؛ وذلك أن الله سبحانه وتعالى هو الذي يوصل الإيمان إلى قلب الإنسان؛ كالذي يسأل عن دار شخص معين، فأقول له إنها بالموضع الفلاني، وفي الشارع الفلاني، أما إذا أخذته بيدي إلى هذه الدار فكأنني أوصلته إلى مطلوبه. والدعوة إلى الهداية عامة والإيصال إليها خاص من الله سبحانه وتعالى.

والله سبحانه وتعالى دل الناس جميعاً إلى طرق السعادة وهداهم إلى ما يجب اتباعه من طرق الخير والكمال. وقد أثبت الله سبحانه وتعالى الهداية للنبي ﷺ بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[1]. ثم قال في آية أخرى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾[2].

والفرق بينهما أن الهداية التي أثبتها للرسول ﷺ هي من النوع الأول بمعنى الدلالة، وقد أداها الرسول ﷺ أكمل أداء، وبلغ الرسالة وأدى الأمانة وجاهد في الله حق جهاده.

(1) سورة الشورى، الآية: 52.
(2) سورة القصص، الآية: 56.

أما التي نفاها فهي من النوع الثاني.

ملاحظة: قد تأتي الهداية بمعنى الثبات أي ثبتنا على دينك. لأنه قد يخطر سؤال: كيف يسأل المؤمن الهداية في الصلاة وهو المهتدي فعلاً لذلك تأتي الهداية هنا بمعنى التثبيت. وفي الدعاء: «**اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك**» وفيه صيغة الدعاء، فالعبد يطلب دائماً تثبيته على الهداية، لأن العبد لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله، فأرشده الله تعالى أن يسأله في كل وقت أن يمده بالمعونة والثبات، وجعل الله هذا الدعاء الذي في هذه السورة أفضل من الذي يدعو به الداعي، لأن هذا الكلام قد تكلم به رب العالمين، فأنت تدعو بدعاء هو كلامه الذي تكلم به، ولولا احتياج العبد ليلاً ونهاراً إلى طلب الهداية لما أرشده الله تعالى إليها وأنزلها في فاتحة الكتاب العظيم.

الخصائص والمعاني المستنبطة من «اهدنا»:

الأولى: لقائل أن يقول: لم قال اهدنا ولم يقل اهدني؟

والجواب: إن الدعاء إذا كان عاماً كان إلى الإجابة أقرب. وإذا أجاب الله الدعاء في البعض فهو أكرم من أن يرده في الباقي، ولهذا السبب فإن من السنة إذا أراد أن يذكر دعاء أن يصلي أولاً على النبي ﷺ ثم يدعو ثم

يختم الكلام بالصلاة على النبي ﷺ لأن الله تعالى يجيب الداعي في صلاته على النبي ﷺ، ثم إذا أجيب في طرفي دعائه امتنع أن يرد في وسطه.

الثانية: لقائل أن يقول: المصلي لابد وأن يكون مؤمناً وكل مؤمن مهتد فالمصلي مهتد، فإذا قال (اهدنا) كان جارياً مجرى أن من حصلت له الهداية فإنه يطلب الهداية فكان هذا طلباً لتحصيل الحاصل وأنه محال. والعلماء أجابوا عنه من وجوه:

1 - إن العلماء بينوا أن في كل خُلق من الأخلاق طرفي تفريط وإفراط وهما مذمومان والحق هو الوسط ويتأكد ذلك بقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾[1]. وذلك الوسط هو العدل والصواب، فالمؤمن بعد أن عرف الله بالدليل صار مؤمناً مهتدياً، أما بعد حصول هذه الحالة فلا بد من معرفة العدل الذي هو الخط المتوسط بين طرفي الإفراط والتفريط في الأعمال الشهوانية، وفي الأعمال الغضبية، وفي كيفية إنفاق المال.

فالمؤمن يطلب من الله تعالى أن يهديه إلى الصراط

(1) سورة البقرة، الآية: 143.

المستقيم الذي هو الوسط بين طرفي الإفراط والتفريط في كل الأخلاق وفي كل الأعمال.

2 - المؤمن يطلب من الله الهداية إلى الصراط المستقيم الموصوف بالصفة التي يرضى الله عنها، وهو أن يصير بحيث لو أُمر بذبح ولده لأطاع كما فعله إبراهيم عليه السلام، ولو أُمر بأن ينقاد ليذبحه غيره لأطاع كما فعله إسماعيل عليه السلام، ولو أمر بأن يرمي نفسه في البحر لأطاع كما فعله يونس عليه السلام، ولو أمر بأن يصبر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على القتل والتفريق نصفين لأطاع كما فعله يحيى وزكريا عليهما السلام. فالمراد بقوله: (اهدنا الصراط المستقيم) هو الاقتداء بأنبياء الله في الصبر على الشدائد والثبات عند نزول البلاء ولا شك أن هذا مقام شديد هائل لأن أكثر الخلق لا طاقة لهم به.

3 - كأن الإنسان يقول: في الطرق كثرة الأحباب يجرونني إلى طريق، والأعداء إلى طريق ثان، والشيطان إلى طريق ثالث، وكذا القول في الشهوة والغضب والحقد والحسد؛ والعقل ضعيف والعمر قصير، وقد تحيرت في الكل، فاهدني إلى طريق أخرج به إلى الجنة.

الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ

قال الإمام أبو جعفر بن جرير: أجمعت الأمة من أهل التأويل على أن الصراط المستقيم هو الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه، وذلك في لغة العرب. ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ﴾[1]. فصار بمعنى: دلنا على الطريق المستقيم وأرشدنا إليه.

قال ابن كثير رحمه الله: اختلفت عبارات المفسرين من السلف والخلف في تفسير الصراط، وإن كان يرجع حاصلها إلى شيء واحد، وهو المتابعة لله عز وجل وللرسول ﷺ. فقد قيل: الصراط المستقيم هو كتاب الله.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: الصراط المستقيم هو دين الإسلام.

وقال ابن الحنفية رضي الله عنه: الصراط المستقيم: هو دين الله الذي لا يقبل من العباد غيره.

وهذه الأقوال كلها صحيحة ومتلازمة، فإن من اتبع النبي ﷺ فقد اتبع الإسلام، ومن اتبع الإسلام فقد اتبع كتاب الله، ودين الله هو الإسلام. قال الله تعالى: ﴿وَمَن

(1) سورة الأنعام، الآية: 153.

يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[1].

والدليل على أن المراد بالصراط هنا هو الإسلام ما رواه النواس بن سمعان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**ضرب الله تعالى مثلاً صراطاً مستقيماً، وعلى جنبي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى باب الصراط داع يقول: يا أيها الناس ادخلوا الصراط جميعاً، ولا تتعوجوا، وداع يدعو من فوق - أي الصراط - فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئاً من تلك الأبواب قال: ويحك لا تفتحه فإنك إن فتحته تلجه** - أي تدخل فيه -».

قال رسول الله ﷺ: «**فالصراط الإسلام، والسوران حدود الله تعالى، والأبواب المفتحة محارم الله تعالى والداعي على رأس الصراط كتاب الله تعالى، والداعي من فوق واعظ الله تعالى في قلب كل مسلم** - أي دلالة الملك الذي يدله على الخير -»[2].

---

(1) سورة آل عمران، الآية: 85.

(2) رواه الإمام أحمد في مسنده، والحاكم في الإيمان، وكذا الطبراني عن النواس بن سمعان رضي الله عنه. قال الحاكم: على شرط مسلم ولا علة له وأقره الذهبي.

الخصائص والمعاني المستنبطة من الصراط المستقيم:

الأولى: اعلم أن علماء الهندسة قالوا: الخط المستقيم أقصر خط يصل بين نقطتين، وعليه فإن الخط المستقيم أقصر من جميع الخطوط المعوجة، فكأن العبد يقول: اهدنا الصراط المستقيم لأنه أقرب الخطوط وأقصرها، وأنا عاجز فلا يليق بضعفي إلا الطريق المستقيم.

أو كأنه يقول: إن الطريق المستقيم يوصل المقصود، والمعوج لا يوصل إليه.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: خط لنا رسول الله ﷺ يوماً خطاً، ثم قال: «**هذه سبيل الله**»، ثم خط خطوطاً عن يمينه وخطوطاً عن يساره ثم قال: «**هذه سُبلٌ على كل سبيل منها شيطان يدعو إليها**». ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[1].

مستقيماً: معناه مستوياً قويماً لا اعوجاج فيه.

يقول القرطبي في تفسيره: السبل تعم اليهودية والنصرانية والمجوسية وسائر أهل الملل وأهل البدع والضلالات من أهل الأهواء والشذوذ في الفروع، وغير

(1) سورة الأنعام، الآية: 153.

ذلك من أهل التعمق في الجدل والخوض في الكلام. انتهى.

فالطريق الموصل إلى الله معروف لا يقبل الله طريقاً غيره، ولو أتى الناس من كل طريق واستفتحوا كل باب فالطريق عليهم مسدود والأبواب عليهم مغلقة إلا من هذا الطريق، وهو طريق الإسلام الموصل إلى الله سبحانه وتعالى.

الثانية: إن الهداية إلى الطريق المستقيم أُمنية كل عاقل مدرك لحقيقة هذه الحياة. وقد سلك المؤمن أكمل أحوال السائل وأمثلها، وذلك بأن مدح مسؤوله الكريم، ثم سأله حاجته وهي الهداية إلى الصراط المستقيم.

صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ

هذا بدل من الأول، أي الذين مننت عليهم بالهداية والتوفيق.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: هم الأنبياء والصديقون والشهداء الذين ذكرهم الله تعالى في قوله: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾[1].

(1) سورة النساء، الآية: 69.

وذهب بعضهم: إلى أن الذين أنعمت عليهم هو (أبو بكر رضي الله عنه)، وأن نطلب الهداية التي كان عليها أبو بكر حيث ذكرت الآية السابقة الصديقين، ولا شك أن رأس الصديقين ورئيسهم أبو بكر رضي الله عنه. وإذا كان تفسير هذه الآية هكذا فقد ثبتت إمامة أبي بكر من هذه الآية وبذلك وجب الاقتداء به.

وقال ابن كثير رحمه الله في وصف الذين أنعم الله عليهم: هم أهل الهداية والاستقامة والطاعة لله ورسله وامتثال أوامره وترك نواهيه وزواجره، غير صراط الذين هم فسدت إرادتهم فعلموا الحق وعدلوا عنه. ولا صراط الضالين وهم الذين فقدوا العلم فهم هائمون في الضلالة لا يهتدون إلى الحق.

وقال آخرون: أنعمت عليهم، يتناول كل من كان لله عليه نعمة من نعم الدين والإيمان وأن المراد من قوله: أنعمت عليهم هو نعمة الإيمان.

غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ.

معنى الغضب في اللغة: الشدة الذي هو ثوران دم القلب لإرادة الانتقام. ورجل غضوب: أي شديد الخلق. ومعنى الغضب في صفة الله سبحانه وتعالى: إرادة العقوبة والانتقام فقط دون غيره.

ومنه الحديث: «إن الصدقة لتطفئ غضب الرب، وتدفع ميتة السوء»[1].

ومعنى الحديث: إن الصدقة لتطفئ غضب الرب، أي سخطه على من عصاه وإعراضه عنه ومعاقبته له.

وتدفع ميتة السوء: بأن يموت مصراً على ذنب أو قانطاً من رحمة الله أو مختوماً له بسيئ عمل.

ومعنى الضالين في اللغة: هو الذهاب عن سنن القصد وطريق الحق، ومنه ضل اللبن في الماء أي غاب. ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍۢ بَلْ هُم بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ﴾[2]. أي غبنا بالموت وصرنا تراباً.

والجمهور أن المغضوب عليهم اليهود والضالين النصارى. جاء ذلك مفسراً عن النبي ﷺ في حديث عَدِيٍّ بن حاتم رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون»[3].

---

(1) رواه الترمذي وابن حبان عن أنس رضي الله عنه. قال الترمذي: غريب، قال عبد الحق: ولم يبين المانع من صحته، وعلته ضعف رواية أبي خلف إذ هو منكر. قال ابن قطان: فالحديث ضعيف.

(2) سورة السجدة، الآية: 10.

(3) أخرجه الترمذي.

وشهد لهذا التفسير أيضاً قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾.

وعن الضالين قوله سبحانه وتعالى: ﴿قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾[1].

المعاني المستنبطة من الآية:

الأولى: الغضب تغير يحصل عند غليان دم القلب لنزعة الانتقام، واعلم أن هذا على الله تعالى محال. ومن المعلوم أن جميع الأعراض النفسانية - أعني الرحمة، والفرح، والسرور، والغضب، والحياء، والغيرة، والمكر، والخداع، والتكبر، والاستهزاء - لها أوائل ولها غايات.

ومثاله: الغضب فإن أوله غليان دم القلب وغايته إيصال الانتقام إلى المغضوب عليه، فلفظ الغضب في حق الله تعالى لا يحمل على أوله الذي هو غليان دم القلب بل على غايته الذي هو إرادة الانتقام والعقوبة وأيضاً الحياء له أول، وهو انكسار يحصل في النفس وله غرض وهو ترك الفعل. فلفظ الحياء في حق الله يحمل على ترك الفعل لا على الانكسار النفسي.

(1) سورة المائدة، الآية: 77.

الثانية: الإيمان إنما يكمل بالرجاء والخوف، فقوله تعالى: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِم﴾ يوجب الرجاء الكامل. وقوله: ﴿غَيرِ ٱلمَغضُوبِ عَلَيهِم وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾، يوجب الخوف الكامل. وحنيئذٍ يقوى الإيمان بركنيه وطرفيه وينتهي إلى حد الكمال.

آمين:

آمين: اسم فعل أمر بمعنى استجب يا رب، وضع موضع الدعاء، وليست من القرآن. قال رسول الله ﷺ: **«إن الله أعطى أمتي ثلاثاً لم تُعط أحداً قبلهم: السلام وهو تحية أهل الجنة، وصفوف الملائكة، وآمين إلا ما كان من موسى وهارون»**[1].

وذلك عندما دعا موسى على فرعون وأمن هارون، فقال الله تبارك وتعالى عندما ذكر دعاء موسى في تنزيله: ﴿قَد أُجِيبَت دَّعوَتُكُمَا﴾ فكان من موسى الدعاء ومن هارون التأمين، فسماه داعياً في تنزيله.

وكما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيتَ فِرعَونَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَموَٰلًا فِي ٱلحَيَوٰةِ ٱلدُّنيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا ٱطمِس عَلَىٰٓ أَموَٰلِهِم وَٱشدُد عَلَىٰ قُلُوبِهِم فَلَا يُؤمِنُواْ

(1) رواه الترمذي.

حَتَّىٰٓ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾[1].

فذكر هنا الدعاء عن موسى وحده ومن سياق الكلام ما يدل على أن هارون أمن، فنزل منزلة من دعا بقوله تعالى: ﴿قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾ فدل ذلك على أن من أمن على دعاء فكأنما قاله، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا أمّن الإمام فأمنوا فإن من وافق تأمينُه تأمين الملائكة غُفِر له ما تقدم من ذنبه**»[2].

واختلفوا في هؤلاء الملائكة، فقيل هم الحفظة، وقيل غيرهم من الملائكة. قوله: غفر له ما تقدم من ذنبه يعني تغفر له الذنوب الصغائر دون الكبائر.

وآمين مثل الطابع على الصحيفة. روى أبو داود عن أبي مُصَبِّح المَقْرَائي قال: كنا نجلس إلى أبي زهير النميري وكان من الصحابة، فيحدث أحسن الحديث، فإذا دعا الرجل منا بدعاء قال: اختمه بآمين، فإن آمين مثل الطابع على الصحيفة. قال أبو زهير: ألا أخبركم عن ذلك؟ خرجنا مع رسول الله ﷺ ذات ليلة، فأتينا

(1) سورة يونس، الآيتان: 88، 89.

(2) رواه البخاري ومسلم. قال ابن شهاب: وكان رسول الله ﷺ يقول آمين.

على رجل قد ألح في المسألة، فوقف النبي ﷺ يسمع منه، فقال النبي ﷺ: «**أوجب إن ختم**» فقال له رجل من القوم: بأي شيء يختم؟ قال: «**بآمين فإنه إن ختم بآمين فقد أوجب**». فدل ذلك على أن من أمن على دعاء فكأنما قاله. فلهذا قول من قال إن المأموم لا يقرأ لأن تأمينه على قراءة الفاتحة بمنزلة قراءتها. ولهذا جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده: «**من كان له إمام فقراءة الإمام له قراءة**».